التفسير الإشاري
مفهومه ومصطلحه وأقطابه

د٠ أبا سفيان محمد الحاج عبد المحمود (*)

المقدمة :

هدفت الدراسة إلى إبراز دور علماء التفسير في استنباط الأحكام والعلوم من القرآن الكريم واختلاف القول في ذلك بما يؤدي إلى سعة الاستنباط كل حسب مشربه، ومنهجه الذي يسلكه، وما يهبهُ الله له من الحكم والفهم والعلم بكتاب الله تعالى. كما هدفت الدراسة إلي إلقاء الضوء على ما يسمى التفسير الإشاري، من بداية ظهوره، إلى عهد استقلاله، متخذاً أمثلةً له مازجاً فيها بين الإشارة والعبارة، والمفردة والتركيب، والرواية والدراية، وتوازنه بين فهم عصر السلف والخلف بإيراد سلسلة من أقطابه. واتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي وخلصت إلي نتائج منها : الكشف عن نوع من أنواع التفسير، ذكر أقطاب علم التفسير الذي عرفوا بهذا المنهج، يجب الموازنة بين السلوك الصوفي الخلقي والمنهج السلفي الشرعي. من خلال أراء العلماء عن التفسير الإشاري. تحقيق القيمة العلمية للتفسير الإشاري بين القبول والرد. وتوصي الدراسة بتضافر جهود المهتمين بالتفسير لإبراز التراث الإسلامي في أبهى صُوَرِه، وإخراج الإرث التفسيري للناس بصورة تضفي عليه روح الحياة حتى ينتفع به الناس.

(*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك– قسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية –جامعة طيبة –المدينة المنورة.

التفسير الإشاري النشأة والمصطلح

التفسير لغة:

يراد بكلمة تفسير في اللغة والبيان والتوضيح، وقد جاءت كلمة تفسير في القرآن الكريم بهذا المعني في قوله تعالى: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"[١] أي أحسن تفصيلاً وبياناً، وهي مأخوذة من الفسر وهو بمعنى الكشف والبيان، جاء في القاموس:" الفسر الإبانة وكشف المغطى"[٢] وجاء في اللسان:" الفسر البيان والتفسير مثله والتفسير أيضاً كشف المراد من اللفظ المشكل"[٣].

ويتضح لنا مما سبق أنَّ لفظ التفسير يستعمل بمعنى الكشف الحسي،ومعنى الكشف المعنوي وهذا أكثر.

أما التفسير في الاصطلاح:

التفسير في الاصطلاح وضعت له عدة تعريفات على العلم منها:

فقد عرَّفه الإمام السيوطي بـــ"الذي يفهم به كتاب الله، المنزل على رسوله صلى الله عليه سلم وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه"[4].

وعرِّف أيضاً بأنه:"العلم الذي يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية" فهو شامل لكل ما يتوقف على المعنى وفهم المراد.

---

(1) سورة الإسراء الآية ٣٣.

(2) الفيروز آبادي، القاموس المحيط . دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ..مادة فسر.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، مادة فسر.

(4) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـــ.١٣/١.

وعرَّفه أبو حيان[١] بأنه:"علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك"[٢].

تعريف التأويل:

في اللغة: مأخوذ من الأول وهو الرجوع جاء في القاموس: آل إليه أولاً ومآلاً رجع عنه وارتد ثم قال: أوّل الكلام أي دبّره وقدّره وفسّره".[٣]

أما التأويل اصطلاحاً:

فالمراد به:"تفسير الكلام وبيان معناه سواءً وافق الظاهر أو خالفه". وبهذا المفهوم يكون التفسير والتأويل مترادفين ونجد أنَّ الإمام ابن جرير الطبري يقول عند تفسيره لآيةٍ: والقول في تأويلها كذا وكذا..." وأيضاً في قوله:" اختلف أهل التأويل أي أهل التفسير". فعنده التفسير والتأويل بمعنى واحد.

ويراد بها أيضاً:"صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح لدليل يقترن به". وبهذا يتبين لنا أنَّ كلمة تفسير هى في المعنى أعم من التأويل.

وقيل: "إنَّ التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية"[٤]، وذلك لأنَّ التفسير معناه الكشف والبيان و الكشف عن مراد الله لا يتم ولا يكون إلا بالنقل الصحيح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أو عن أصحابه – رضوان الله عليهم– لما لهم من العلم والورع والفضل واختيارهم لصحبة النبي

---

(1) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، الجياني الأندلسي، أثير الدين أبو حيان (٦٥٤–٧٤٥هـ)، نحوي لغوي مفسر محدث مقرئ، من تصانيفه: البحر المحيط في تفسير القرآن، وعقد اللآلي في القراءات السبع العوالي. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ١٣٠/١٢.

(2) السيوطي الإتقان في علوم القرآن.١٤/١.

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط مادة فسر.

(4) السيوطي الإتقان في علوم القرآن.١٤/١.

صلى الله عليه وسلم وحضورهم مجالسه ورجوعهم إليه فيما أشكل، أما التأويل فهو مرتبط بترجيحات أحد محتملات اللفظ بالقرينة الدالة عليه، وترجيح ذلك يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل به إلى معرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها حسب السياق ومعرفة أساليب العربية واستنباط المعاني في الكل.

الإشاري:

من الإشارة وهي الإيماء بالكف أو العين أو الرأس وهي ما يستعمل لتفهيم وتوضيح المعاني، وتكون حقيقة في الأشياء الحسية إذا عُدِيت ب (إلى) يقال: أشار إليه باليد. وإذا عُدِيت ب (على) فهي في الرأي والأشياء المعنوية ويقال: أشار عليه. إذا أمره وأعطاه رأيه وهي الاستشارة"[1] قال تعالى:" وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ "[2].

من هنا كانت بداية قضية التفسير الإشاري أو الإيماني كما تسميه بعض الكتب فما هي حقيقته:

تعريف التفسير الإشاري: هو:" تأويل آيات القرآن على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك"[3]. قال الزرقاني: "التفسير الإشاري هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأهل الإشارة والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً"[4].

---

(1) الفيروز آبادي، القاموس المحيط /٢٣٥.

(2) سورة الشورى الآية ٣٨.

(3) الذهبي، محمد حسين التفسير والمفسرون، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د–ت.

(4) الزرقاني، محمد عبد العظيم ت: ١٣٦٧هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثالثة٢/٥٢.

أو هو:" تفسير القرآن بغير الظاهر لإشارة تظهر لأرباب الصفاء مع عدم إبطال الظاهر"[١].

وأورد الإمام محمد علي الصابوني في التبيان:"هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارات خفية تظهر لأولى العلم أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة"[٢].

فعندما يترقى الإنسان في تزكية النفس وتطهر روحه يفتح الله عليه فتحاً كبيراً فيرى ما لا يراه الكثير من أهل النظر، فالذي يصل إلى درجة يحبه الله فيها يكون كما جاء في الحديث القدسي "... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"[٣]. هو المعني بهذه الخاصية فإنه يرى ويسمع ويبطش ويمشي بنور من الله.

يتبين مما ذكر أن التفسير الإشاري الصحيح المقبول هو: تأويل الآيات إلى معاني بعيدة تحتملها اللغة العربية مع إثبات ظاهر معنى الآية[٤].

---

(1) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د–ت. ٣٨٨/٢.

(2) التبيان في علوم القرآن محمد على الصابوني ص١٩١.

(3) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ، تحقيق وتصحيح ابن باز مستو، الرياض، دار اللواء، ط٢، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م. باب التواضع، ج١٨ ص ٣١٥ حديث رقم ٦٠٢١.

(4) وهذا المعنى ينطبق على حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أيضاً.

أمثلة للتفسير الإشاري:

توجد إشارات لطيفة في هذا النوع من التفسير للقرآن الكريم، وتعد نوعًا من أنواع التأويل، إذا التزم أصحابها الشروط التي تعارف عليها أهل الاختصاص، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:" لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ"(١). فالآية في معرض الحديث على نفقة الزوجة، ولكن فيها إشارة إلى أنَّ الواصل يُرشد إلى الله على قدر ما وهبه الله من المعرفة، والسالك أيضاً، قال ابن عطاء الله السكندري(٢): " لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ "الواصلون إليه " وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ" السائرون إليه"(٣). قوله تعالى: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين "(٤) فالآية في مصارف الزكاة، لكن فيها إشارة إلى أنَّ مواهب الله على القلوب لا تكون إلا بتحقيق الفقر والمسكنة لله تعالى، قال اقطع عنك المادة وافتقر إلى الله تفيض عليك المواهب من الله " إنما الصدقات للفقراء والمساكين، إن أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك"أه(٥).

---

(1) سورة الطلاق الآية ٧.

(2) ابن عطاء الله السكندري هو تاج الدين ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسباً المالكي مذهباً الإسكندري داراً، صاحب الحكم توفي سنة٧٠٩هـ.

(3) السكندري ، ابن عطاء الله،الحكم، إعداد وتقديم: د. عبد الحميد صالح حمدان الناشر: مكتبة مدبولي – القاهرة ص ٤٧.

(4) سورة التوبة الآية ٦٠.

(5) ابن عجيبة في شرح الحكم ص ٤٨، وأصل الكلام في الحكم قوله –صلى الله عليه وسلم–: " لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة" فالحديث في منع الكلب والصورة الملائكةَ من دخول البيت، و فيه إشارة إلى أن معرفة الله لا تدخل قلباً امتلأ بكلاب الشهوة وانطبع بصور الأكوان"، قال ابن القيم: " وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله– يقول في قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : "لا تدخل الملائكة بيتا فيه=

ومن الأمثلة قوله تعالى:" وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ"[1] قال: يعني إذا تحركت بغيره لغيره عصمني، وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عني وقوله: والذي يميتني ثم يحيين أي يميتني بالغفلة ويحييني بالذكر"[2].

=كلب ولا صورة" إذا كانت الملائكة المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت، فكيف تلج معرفة الله عز وجل، ومحبته وحلاوة ذكره، والأنس بقربه في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها " اهـ. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣– ١٩٧٣، ٤٠٦/٢.

وقد ذكر الإمام الغزالي: "ولذلك قال –صلى الله عليه وسلم–: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب"، والقلب بيتٌ هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم، والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة، فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة" إحياء علوم الدين ٤٩/١.

أما قوله –صلى الله عليه وسلم–: "لا صلاة بغير طهور" أخرجه مسلم ج ٢ ص ٥ برقم ٣٢٩. فالحديث في عدم صحة الصلاة بغير طهارة الظاهر لكن فيه إشارة يراها أهل السلوك وهي: أن عدم طهارة الباطن مانعة من قبول الصلاة من باب أولى قال ابن القيم: "طهارة الثوب الظاهر والبدن إذا كانت شرطا في صحة الصلاة والاعتداد بها، فإذا أخل بها كانت فاسدة، فكيف إذا كان القلب نجساً ولم يطهره صاحبه؟ فكيف يعتد له بصلاته وإن أسقطت القضاء؟ وهل طهارة الظاهر إلا تكميل لطهارة الباطن"أهـ المدارج ٤٠٦/٢.

(1) سورة الشعراء الآية ٨٠

(2) التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري المتوفى: ٢٨٣هـ جمع: أبو بكر محمد البلدي تحقيق :محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ١١٥/١.

وقوله تعالى: "فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا"[1] إشارة إلى القلوب فمنها ما هو عامِر بالذكر ومنها ما هو خَرِبٌ بالغفلة ومن ألهمه الله ذكره فقد خلصه من الظلم"[2].

وأمثلة التفسير الإشاري بهذا النحو كثيرة تراجع في مظانِّها من كتب التفسير الإشاري وكتب السلوك.

هل يقبل التفسير الإشاري:

التفسير الإشاري عند أكثر العلماء مقبول ولكن بشروط وسنذكر منها اللأهم:

فعند الإمام الغزالي يقول:" وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم، وصفاء قلوبهم، وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة أعلى منه"[3]. فيتبين أن للقرآن الكريم حقائق ومعاني تظهر للذين رسخوا في العلم من أرباب القلوب، الذين توفرت لديهم دواعي التدبر وصفت نفوسهم، فتفتح عليهم من معاني ما وراء النص ما لم تكن تظهر إلا من ورائه. وذلك الفتح يختلف من شخص إلى آخر، باختلاف الدرجة عندهم، فتكون درجته على حسب درجة الصفاء والتجرد.

ولا يكون أي تفسير من ذلك النوع أو غيره مستوفيًا لكل المعاني إذ إنَّ استيفاء المعنى في تفسير القرآن مما لا يمكن إدراكه، لأنَّ القرآن الكريم كلام الخالق –جل جلاله– وأسرار كلام الله لا تنقطع بل تقصر دونها الأفهام، قال

(1) سورة النمل الاية ٥٢.

(2) التستري ١١٥/١.

(3) الغزالي، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ. ٢٩٣/١.

تعالى :" قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا "(١).

فمن هذا المنطلق نجد التفاوت بين الخلق في الفهم ويكون ذلك بعد الاشتراك في الفهم الظاهر للنص أو فهم ظاهر التفسير مع إثبات هذا الظاهر والذي لا يستغنى عنه.

أما ما وراء هذا الظاهر من معان تفتح على أهل النقاء والصفاء ولها ما يدل عليها من قرائن وعلل تقاس عليها، فهي من زائد المعاني ولا يستغنى بها عن التفسير.

ومن هذا لا تعتبر إشارة النص مناقضة لظاهر التفسير بل هي استكمالٌ له. لا يناقض الظاهر في اللغة ولا ينفيه بل زيادة عليه وإفاضة على المعنى التفسيري الظاهر، ولهذا نجد أن الإمام الغزالي يذكر في حديث:"لا تدخل الملائكة بيتاً فيه...."(٢) وليس المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة، ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر. ففارق الباطنية(٣) بهذه الدقيقة، فإنَّ هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار؛ إذ

---

(1) سورة الكهف الآية ١٠٨.

(2) سبق تخريجه.

(3) لفظ الباطنية مأخوذ من كلمة بطن بمعنى خفي فهو باطن، جمعه بواطن، واستبطن الأمر وقف على ما بداخله. والباطنية: هي الفرق التي تنتسب إلى التشيع، وحب آل البيت، وتتخذ من ذلك ستارا وغطاء لخداع المسلمين مع إبطانهم للكفر المحض والباطنية اصطلاح عام يطلق على جمع من الطوائف والفرق المتعددة المتشعبة، وبينها قاسم مشترك هو الاعتقاد بالظاهر والباطن، وتأويل نصوص الشريعة تأويلا باطنا يتوافق مع معتقدات زعموا أنهم اختصوا بها وبمعرفتها دون سواهم وبهذا يعلم أن الباطنية ليست فرقة واحدة، وإنما فرق متعددة.

معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب"[1] أهـ.

ومن قال بجواز التفسير الإشاري فهم يعتمدون التفسير الظاهر أولاً، لا يريدون بالتفسير الباطني للقرآن الكريم بل يقولون هي لطائف يجدونها عند قراءتهم القرآن الكريم ومعانٍ وخواطر تخطر على قلوبهم فيتكلمون بها ويكتبونها ومثال ذلك قوله تعالى:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ"[2] قالوا: هي النفس أمرنا بقتال من يلينا لأنهم أقرب شرا إلينا وأقرب شرا إلى الإنسان نفسه"[3].

ليس المراد به النفس فقط بحيث لا يلتفت إلى ظاهر النص، والمراد ظاهر الآية من سياق هو الثابت والمعتمد. ومن قال شيئا من غير ذلك ولم يذكر تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم، فقد أخطأ، وإنما ذلك ذكر منهم لما شابه ما ورد به القرآن فإنَّ الشبيه يذكر بالشبيه، ففي قضية من قال بقتال النفس التي ذكرت في الآية، فكأنَّه قال أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك لم يتساهل العلماء بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والالتباس على الناس ومدعاة للخوض في القرآن الكريم مما يؤدي إلى إبطال بعض الأحكام والثوابت.

وتفسير آيات القرآن باللغة العربية التي نزل بها وتأويلها ليس انتقال عن ظاهر اللفظ ولا تحويل المعنى عن معناه ولكن ظاهر الآية مفهوم معتمد معتقدٌ العمل به وما جاءت الآية به ودلت عليه اللغة وعرف عند علماء التفسير،

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين ٤٩/١.
(2) سورة التوبة الآية ١٢٣.
(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ،٢ /١٦١.

ولكن توجد معان تفهم من الآية لمن فتح الله عليه من الفهم بسبب صفاء القلب ونقاء النفس ولهذا جاء في الحديث:" لكل آية ظهر وبطن"[١] .

وقد اعترض بعض الناس وقالوا: "هذا تحويل لكلام الله"، والحقيقةُ ليست كذلك، وإنما يكونُ تحريفًا وتحويلاً للمعنى إذا قال:" أن لا يُوجد للآية معنى غير هذا. وأما أهل منهج التفسير الإشاري المقبول فلم يقولوا ذلك، بل يقرون بمعنى ظاهر الآية ويعتمدونه على ظاهره، ثم بعد ذلك يشيرون إلى فهم من الفهوم وفق ما وهبهم الله له من الفهم.

وإقرار الظاهر على ما تقتضيه اللغة أولاً، مع وجود معانٍ أخرى في الفهم تفتح لمن فتح الله عليه، هذا هو الصحيح ولذا ورد عن الإمام ابن تيمية:"ومتى كان المعني صحيحًا والدلالة ليست مرادة فقد يسمى ذلك إشارة"[٢]. ومفهوم هذا الكلام هو أنه إقرار الظاهر الذي تقتضيه اللغة مع وجودِ معانٍ تفتحُ لمن فتحَ الله عليه ولذا قال الإمام ابن تيمية:وأتم القولَ بـــ: "وأما أربابُ الإشاراتِ الذين يثبتون ما دلَّ اللفظُ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوماً من جهة القياس والاعتبار فحالهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار وهذا حقٌ إذا كان قياساً صحيحاً لا فاسداً واعتباراً مستقيماً لا منحرفاً "[٣].

وقد التبس على كثير من الناس بعضٌ من المعاني وأنَّ بعضَ من استدل بالقرآن بألفاظ قد تكون غير واردة ولكن يستدلون عليها بالقرآن الكريم. ومن هنا يكون الاشتباه نحو إن يقال: "إنْ ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله. أو أنْ يجعلَ ذلك المعنى من باب الاعتبار والقياس، لا من باب دلالة اللفظ". وهذا ما يسميه الفقهاء قياساً من نوع القياس، فالذي تسميه الفقهاء قياساً

(1) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢/ ١٨٤.

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٦٠/١٠.

(3) مجموع الفتاوى ٢٨/٢.

هو الذي تسميه الصوفية إشارة وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك. فمن سمع قول الله تعالى:"لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ"[1] وقال: إنه اللوح المحفوظ أو المصحف، فقال: كما أنَّ اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسهُ إلا بدنٌ طاهرٌ فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهى قلوب المتقين كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً ... وكذلك من قال: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا جُنُب فاعتبر بذلك أنَّ القلب لا يدخله نورُ الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد فقد أصاب قال تعالي: "أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ"[2] وقال تعالى: "سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا"[3].[4]

فالإشارات هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بُعدٍ، ومن وراء حجاب، وهي تارة تكون من مسموع، وتارة تكون من مرئي، وتارة تكون من معقول، وقد تكون من الحواس كلها، وللإمام ابن القيم كلام جميل عن ذلك فيقول: "فالإشارات من جنس الأدلة والأعلام، وسببها: صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها. والصحيح منها ما يدل عليه اللفظ بإشارته من باب قياس الأولى"[5].

---

(1) سورة الواقعة الآية ٧٩.

(2) سورة المائدة الآية٤١.

(3) سورة الأعراف الآية١٤٦.

(4) ابن تيمية، الفتاوى مرجع سابق، ١٢٨/٣.

(5) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣– ١٩٧٣، ٢٠٦/٢ .

ومن أحسن الأمثلة على هذا قوله تعالى: "لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ"[1] فقد نقل الإمام ابن القيم عن ابن تيمية قوله:"والصحيح في الآية أنَّ المراد به الصحف التي بأيدي الملائكة، ولكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر؛ لأنَّه إذا كانت تلك الصحف لا يَمسُها إلا المطهرون لكرامتها على الله فهذه الصحفُ أولى أنْ لا يمسها إلا طاهر، وعلى هذا: أنَّ استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها وهي بيت الرب، فتوجهُ المصلى إليها ببدنهِ وقالبهِ شرطٌ، فكيف تصحُ صلاة منْ لم يتوجه بقلبهِ إلى رب القبلة والبدن؟ بل كيف تصحُ ووجه بدنه إلى البيت ووجه قلبهُ إلى غير رب البيت"[2]. ومثل ذلك كثير من الإشارات الصحيحة والمتعددة، التي لا تنال إلا بصحة البصيرة، وصفاء الباطن وحسن التأمل، وزكاة النفس.

وهذا اللون من ألوان التفسير الإشاري بهذا الشكل له وجهٌ من الصحة. ويجاز على أنَّه نوعٌ من أنواعِ القياس عند الإمام الشاطبي وذلك إذا كان صحيحاً ومقبولاً". ففي معرض الحديث عن التفسير الإشاري يقول:"ولكنه له وجه جارٍ على الصحة وذلك أنَّه لم يقل أنَّ هذا هو التفسير المراد من الآية ولكنه أتى بما هو ندٌ له في الاعتبار"[٣]. وما ينظر فيه الناظر، فيأخذ معنى الآية فيه ويقيسه على ما لم تنزل فيه آية، يعتبر من باب الاعتبار، إما أنها تشابهها في المعطيات أو القصد أو العلة، لهذا رأى الإمام الشاطبي جواز التفسير الإشاري من هذا الباب".

وتفسير القرآن الكريم بلطائف إشارية نقل عن كثير من السلف الصالح منهم الإمام الغزالي في كتابه الإحياء، و هذا لا يعني جوازه على إطلاقه.

---

(1) سورة الواقعة الآية ٧٩.

(2) ابن القيم، مدارج السالكين ٤١٨/٢.

(3) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، دار ابن القيم،١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م 3/403.

فيدخل فيه كل من أراده. بل لا بد لمن يدخل فيه من معرفة مقاصد القرآن، ولا بد من انتهاج منهج السنة الصحيحة. فلا نأخذ ظاهر التفسير ويعتقد أنَّهُ المراد فقط ويكذب ما عدا ذلك، ولا نأخذ إشارة التفسير مطلقاً ونرى أنَّهُ المراد مطلقاً كما يسلك الباطنية.والمنهج الصحيح في التفسير الإشاري هو أنْ يثبت ما دل اللفظ عليه ويجعلون اللفظ المشار إليه مفهوماً من جهة القياس والاعتبار. وهذا إنْ كان القياس صحيحاً لا فاسداً واعتباراً مستقيماً لا منحرفاً. فهي تنقسم إلى إشارات صحيحة و وإشارات باطلة حسب القياس إذا كانت من باب الاعتبار.

أما حديث ابن عباس –رضي الله عنه– مع أهل الشورى في تفسير قوله تعالى:" إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ *وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا"(١) فقد تبينت فيه صورة التفسير الإشاري بدرجة عالية وفي شرحه يرى الإمام ابن حجر جوازه.

فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس–رضي الله عنه– قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثلهُ فقال عمر رضي الله عنهُ: إنهُ من قد علمتم. فدعاه ذات يومٍ فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال:"ما تقولون في قول الله تعالى: " إذا جاء نصر الله والفتح..." فقال: بعضهم أمرنا أنْ نحمدِ الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا" وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً فقال لي: أكذاك تقولُ يا ابن عباس؟ فقلت: لا قال: فما تقول: قلتُ: هو أجلُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أعلمه له. قال: إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك" فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا" فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول"(٢).

---

(1) سورة الفتح الآيات ١–٣.

(2) البخاري، صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام ٤٥٧/١١ برقم ٣٣٥٦.

قال الإمام الحافظ ابن حجر: "وفيه فضيلة ظاهرة لابن عباس، وتأثير لإجابة دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– أنْ يعلِّمَه الله التأويل، ويفقهه في الدين، وفيه جواز تحديث المرء عنْ نفسه بمثل هذا لإظهار نعمة الله عليه، وإعلام منْ لا يعرف قدره لينزلهُ منزلتهِ، وغير ذلك من المقاصد الصالحة، لا للمفاخرة والمباهاة، وفيه جواز تأويل القرآن بما يُفهم من الإشارات، وإنما يتمكنُ من ذلك من رَسَخَت قدمه في العلم"(١).

والصحيح ما ذهب إليه أهل الحق من أنَّ النصوص على ظاهرها، إضافة إلى أنَّ فيها إشارات خفيةٌ إلى دقائقَ تتكشف لأهل الصفاء والنقاء يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومن هنا يعلم الفرقُ بين التفسير الإشاري وتفسير الباطنية الملاحدة الذين يقولون أنَّ الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة.

التفسير الإشاري المباح والتفسير الإشاري المحذور والفرق بينهما:

إذا أردنا التفريق بين التفسير الإشاري المقبول، والاشاري المردود وهو ما ينسب إلى الباطنية– الفرقة المعروفة – فهم يبطلون التفسير الظاهر أو يجعلونه فهم خاصٌ بالعامة، دون الخاصة، أما التفسير الإشاري المقبول فإنَّه يقر أولاً الظاهر، ويعترف بأنه هو المراد من الآية لكنهُ يقول: إنَّ في الآية إشارة لمعنىً آخر يخطر ببالهِ عند قراءتها. وبهذا الاعتبار يمكن تقسيم القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام:

أ. تفسيره باللغة العربية بما يتوافق مع ظاهرها وهو الأصل.

ب. تفسيره بغير ظاهر النص عنْ طريق منهج الإشارة مع إثبات الظاهر.

ج. تفسيره بالباطن إشارياً مع عدم إثبات الظاهر أو جعل الظاهر للعامة دون الخاصة.

---

(1) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري ١٦٢/١٤ برقم ٤٥٨٨.

فمن هنا يتبين الاختلاف بين ما هو مقبول وما هو مردود في تفسير إشارات القرآن الكريم، فالمنهج المقبول في التفسير الإشاري هو إرادة الظاهر والحض عليه، ثم يشيرون إلى معانٍ تفهم كل على حسب ما يفتح له من المعاني. وأما الذين غلوا فيه يقولون بأن المعنى الظاهر غير مقصود ولا يراد. وإنما المراد هو المعنى الباطن فقط ويكون مقصدهم في ذلك هو إبطال الشرع الحنيف. لذلك قيل أنَّ التفسير الإشاري هو عن صفاء ونقاء و التفسير الباطني عن هوى وجفاء.

فالمنهج المعتدل في التفسير الإشاري فأهله لا يمنعون إرادة الظاهر، بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً، وأما الباطنية فإنهم يقولون إنَّ الظاهر غير مراد وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة.

ما يشترط لقبول التفسير الإشاري:

من الواضح أنه يوجد نوع من التفسير الإشاري مقبول، ونوع آخرُ منْه مردودٌ. فما هي شروط التفسير المقبول:

يشترط فيه عدة أمور جمعها الإمام ابن القيم في الآتي":

أ. أنْ لا يتناقض مع الآية.

ب. أنْ يكون معنى صحيحاً في نفسه.

ج. أنْ يكون في اللفظ إشعار به.

د. أنْ يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الشروط الأربعة كان استنباطاً مقبولاً."[1]

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية الزرعي أبو عبد الله المتوفى: ٧٥١هـ ، التبيان في أقسام القرآن ، تحقيق: محمد حامد الفقي دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٤٥.

وقد وضع بعض العلماء ضوابط عدة للتفسير الإشاري وشروطاً لا تخرج في جملتها عن ما ذكره الإمام ابن القيم فهي تتداخل وتشترك.

ومن أهم ما يمكن أن يكون شرطاً في التفسير الإشاري شيئان:بيان المعنى الموضوع له اللفظ الكريم ثم أن لا يكون وراء التفسير الإشاري لبس في معاني المفسَّر.وهذه الشروط لقَبولهِ بمعنى عدم رفضهِ ولا لوجوب اتباعه. وذلك لأنَّه لا يتنافى مع ظاهر القرآن الكريم" وأنه له شاهد من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض، ولو لم يتحتم الأخذ به بل هو من سبيل الإلهامات والإشارات التي تلوح لأصحابها وغير منضبطةٌ بلغةٍ أو لفظٍ ولا تقيدها قواعد لذلك لا يتوجب الأخذ بها.

أنواع الإشارة:

لخص الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور أنواع الإشارات في تفسيره فقال:"وعندي أنَّ هذه الإشارات لا تعدو واحداً من ثلاثة أنحاء الأول: ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلاً: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ"[1] أنه إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالى إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس. ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية وسعى في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى. الثاني: ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبقُ من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد. وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده، والذي يجولُ في خاطره وهذا كمنْ قال في قوله تعالى": مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ"[2] من ذلَّ (ذي) إشارة للنفس يصير من المقربين للشفعاء فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع ويتأوله على ما شغل

(1) سورة البقرة الآية ١١٤.

(2) سورة البقرة الآية٢٥٥.

به قلبه. ورأيت الشيخ محي الدين يسمي هذا النوع سماعاً ولقد أبدع. الثالث: عبرٌ ومواعظ وشأنُ أهل النفوس اليقظى أنْ ينتفعوا من كل شيءٍ، ويأخذوا الحكمةَ حيثُ وجدوها فما ظنُّك بهم إذا قرأوا القرآن الكريم، وتدبروه فاتعظوا بمواعظه، فإذا أخذوا من قوله تعالى:" فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا"[1] اقتبسوا أنَّ القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالاً... وكل إشارة خرجت عنْ حدِّ هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويداً إلى أنْ تبلغ عين مقالاتهم"[2].

على من ترد الإشارات:

الإشارات هي من جنس الأعلام والأدلة، ومن المعلوم أنَه يوجد في الناس مَن هم أهل إشارة، سواءً فيما يقولون، أو فيما يسمعون، أو يقرؤون، أو يرون، أو حتى فيما يفكرون، وسبب ذلك: صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها"[3]. يقول الإمام ابن القيم: "يريد بالإشارة: ما يشير إليه القوم من الأحوال والمنازلات والأذواق، التي ينكرها الأجنبي من السلوك ويثبتها أهل البصائر وكثير من هذه الأمور ترد على السالك، فإن كان له بصيرة ثبّتت بصيرته ذلك له وحقّقته عنده وعرّفته تفاصيله، وإن لم يكن له بصيرة بل كان جاهلاً لم يعرف تفصيل ما يرد عليه ولم يهتد لتثبيته"[4].

فالإشارات ترد إما من صادق، أو من عالم، من آية فهمها، أو عبرة ظفر بها، اشتفى بها قلبه، وهذا معلومٌ عند من له ذوقٌ. فقد جاء في مدارج

---

(1) سورة المزمل الآية ١٦.

(2) ابن عاشور: محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، سنة ١٩٩٧ م ١٦/١.

(3) ابن القيم – مدارج السالكين ٤٠٦/٢.

(4) ابن القيم – مدارج السالكين١٢٩/١.

السالكين:"اعلم أنَّ في لسان القوم من الاستعارات، وإطلاق العام، وإرادة الخاص، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته، دون حقيقة معناه، ما ليس في لسان أحد من الطوائف غيرهم ولهذا يقولون: نحن أصحاب إشارة لا أصحاب عبارة، والإشارة لنا والعبارة لغيرنا. وإذا امتلأ القلب بشيءٍ، وارتفعت المباينة الشديدة بين الظاهر والباطن، أدت الأذن إلى القلب من المسموع ما يناسبه، وإنْ لم يدل عليه ذلك المسموع، ولا قصده المتكلم، ولا يختص ذلك بالكلام الدال على معنى، بل قد يقع في الأصوات المجردة، قال القشيري: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: دخلت على أبي عثمان المغربي ورجل يستقي الماء من البئر على بكرة. فقال: يا أبا عبد الرحمن، أتدري أي شيءٍ تقول هذه البكرة؟ فقلت: لا، فقال تقول:" الله الله "، ومثل ذلك كثير كما سمع أبو سليمان الدمشقي من المنادي: يا سعتر بري: (اسعَ ترَ برِّي) "[1].

وقصة (يا سعتر برّي) التي أشار إليها ابن القيم هي بتمامها في شرح الحكم لابن عجيبة حيث قال: " وقد يختلف الشرب لجماعة من آنية واحدة لاختلاف مقامهم كقضية الرجال الذين سمعوا قائلا يقول: يا سعتر بري، وذلك أن رجلا في الصفا بمكة صاح يا سعتر بري لرجل آخر كان اسمه ذلك فسمعه الثلاثة فكل واحد تعلق بذهنه ما يليق بحاله فسمع أحدهم: الساعة ترى برِّي، وسمع آخر: اسعَ ترَ برّي، وسمع الثالث: ما أوسعَ برّي ..."[2] ويرجع إلى مشرب كل صاحب ذوق واختلاف مقامه.

يقول ابن عاشور:"ومن حكاياتهم في غير باب التفسير أن بعضهم مر برجل يقول لآخر: هذا العود لا ثمرة فيه فلم يعد صالحا إلا للنار فجعل يبكي

(1) ابن القيم – مدارج السالكين ٤٠٦/٢.

(2) شرح الحكم، لابن عجيبة ص 262.

ويقول: "إذن فالقلب غير المثمر لا يصلح إلا للنار"[1]. ويحكى أنَّ أحداً من العارفين سمع بائعاً في السوق يقول:"الخيار بعشرة الخيار بعشرة، فتواجد وقال: إذا كان الخيار بعشرة فكيف الأشرار؟!! وسمع عارفٌ آخرُ امرأةً تنادي النَّاس ليمسكوا لها ابنها الهارب وتقول:"خذوه خذوه"، فتواجد وأخذه الحال وصاح، تذكر بذلك قول الله تعالى:"خُذُوهُ فَغُلُّوهُ" وعندما سُئل الجنيد –رحمه الله– عنْ سكونه عند الإنشاد مع تواجد غيره قال: "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ"[2].

وحضر آخر عقدَ زواجٍ فنادى بعضهم: "هاتوا النار" أي نار البخور" هاتوا الشهود أي شهود النكاح"، فخرج من المجلس وهامَ على وجهه تذكّر بذلك نار الآخرة وشهود يوم القيام، وآخر سمع امرأة تعنف ابنتها، فتقول البنت لأمها: سأقول لأبي، فقالت الأم: ما يفعل لك أبوك؟ فقالت البنت:"وهل معي غيره"، فغشي على الرجل، فلما أفاق قالوا له: ما لك؟ فقال: وهل معي غيره. فهي محض إشارات تفهم من خلال الموقف والحال التي فيها السامع، وذلك حسب صفاء نفسه وارتفاع مقامه.

المصنفات في التفسير الإشاري:

تعددت كتب التفسير الإشاري ولكن من أشهرها الآتي:

١. تفسير التستري٢٨٣هـ تفسير القرآن العظيم.
٢. تفسير أبي عبد الرحمن السلمي ٤١٢هـ حقائق التفسير.
٣. تفسير أبي القاسم القشيري لطائف الإشارات ٤٦٥هـ.
٤. تفسير أحمد بن عجيبة ١٢٢٤هـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.

---

(1) التحرير والتنوير، ١٦/١.

(2) سورة النمل الآية٨٨.

٥. تفسير شهاب الدين الألوسي ١٢٧٠هـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

٦. تفسير نظام الدين النيسابوري ٧٢٨هـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان.

٧. تفسير أبي محمد البقلي الشيرازي ٦٠٦هـ عرائس البيان في حقائق القرآن.

ذكر تعريف موجز بكل تفسير وأمثلة على التفسير الإشاري من تلك التفاسير:

1 – تفسير التستري

يعتبر من أول ممن ألف في التفسير الإشاري الإمام أبي محمد سهل بن عبد الله التستري من مواليد سنة ٢٠٠هـ ولقد بدأ التأليف على يده في التفسير الإشاري اعتماداً على تأويل الآيات منذ القرن الثالث، فإن له تفسيراً على طريقة الإشارة جمعه أبو بكر محمد بن أحمد البلدي. وكان التستري من الزهاد والعباد، وكان صاحبُ رياضةٍ واجتهادٍ وافر أقام بالبصرة زمناً طويلاً، وتوفي بها سنة ٢٨٣ هـ[1].

وهذا التفسير قد تم طبعه وهو صغير الحجم، ولم يتعرض فيه المؤلف لتفسير جميع آي القرآن، بل فسر فيه آياتٍ معينةٍ ومحدودةٍ، ومتفرقة يتم اختيارها منْ كل سورةٍ ويظهر أنَّ التفسير عبارة عن مجموعة من أقوال الإمام التستري في التفسير، و أحياناً لا يقتصر على التفسير الإشاري فقط، بل ربما ذكر بعض المعاني الظاهرة ثم يتبعها بالمعاني الإشارية، وعندما يتعرض للمعاني الإشارية لا يبين ذلك بوضوح، فتارةً يأتي بالمعاني الغريبة التي يستبعد أنْ تكون مراده، كالمعاني التي يذكرها في تفسير البسملة ففي تفسيره للبسملة قال:"الباء: بهاء اللّه والسينُ: سناء اللّه و الميم: مجدُ اللّه واللّه: هو الاسم الأعظم

(1) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك – الوافي بالوفيات – ط :الثانية ، بيروت،١٩٨٥م/٥/١٧٥.

الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف و اللام منه حرف مكنى، غيبٌ من غيب إلى غيب، وسرٌ من سر إلى سر، وحقيقةٌ من حقيقة إلى حقيقة، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواماً. والرحمن: اسم فيه خاصية من الحرف المكنى بين الألف واللام والرحيم: هو العاطف على عباده بالرزق في الفرع، و الابتداء في الأصل، رحمة لسابق علمه القديم[1]. هكذا نجد تفسيره يزدحم بالغامضات من التعابير التى لا يدرك لها معنى في الظاهر، ولربما صارت عند بعضهم نوع من الشطح. وربما فسَّر الآية بما لا يحتمله اللفظ، وليس سوى الذوق الذي حملهُ على الآية حملاً، وفي أغلب الأحيان يجري في تفسيره مع ظاهر الآية أولاً، ثم يعقبه بما سنح له منْ خواطر إشارية يجعلها تأويلاً وتفسيراً لباطن الآية ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: "وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا"[2] فقد أورد بعد ذكر التفسير الظاهر للآية قوله: وأما باطنها، فالجار ذي القربى هو القلب، والجار الجنب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدى بالشريعة، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة للّه"[3] وعند تفسيره للآية لقوله تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ"[4] يقول: مثل اللّه سبحانه وتعالى الجوارح بالبر، ومثل القلبَ بالبحر، وهم أعم نفعاً وأكثر خطراً هذا هو باطن الآية، ألا ترى أنَّ القلب إنما سمي قلباً لتقلبه، وبعد غوره"[5].

(1) التستري، في تفسير القرآن العظيم ٢٢/١.
(2) سورة النساء الآية ٣٦.
(3) التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله ٢٨٣هـ ،ت محمد باسل عيون السود ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت ١٢١/١.
(4) سورة الروم الآية ٤١.
(5) التستري ١٢١/١.

2 حقائق التفسير للسُّلمي:

هو تفسير أبي عبد الرحمن السلمي، المسمى بـــ "حقائق التفسير" هو: أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السُلمي، المتوفى سنة ٤١٢هـــ[١]. كان شيخ الصوفية ورائدهم بخراسان، وله اليد الطولى في التصوف، وكان مُوفقاً في علوم الحقائق، وكان على جانب كبير من العلم بالحديث، أخذ منه الحاكم النيسابوري والقشيري صاحب التفسير. وتفسيره من أهم تفاسير الإشارية، ويُعد من أمهات المصادر للتفسير الإشاري لمنْ جاء بعده، كالقشيري والشيرازي وغيرهما.

ويعتبر امتداداً للتفسير الإشاري الذي ابتدأه التستري وتفصيلاً له، وتحريرًا واسعًا للذوق في فهمه لمعاني كلمات اللّه في القرآن العظيم حيث قال في مقدمته:"لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات، وتفاسير، ومشكلات، وأحكام، وإعراب ولغة، ومجمل، ومفصل، وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحدٌ منهم بفهم الخطاب على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفاً استحسنها من ذلك، وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك، وأرتبه على السور، حسب وسعي وطاقتي"[٢]. فكان هذا الكتاب المسمى ب (حقائق التفسير).

ورد في ترجمته في "سير أعلام النبلاء": وللسلمي سؤالات للدار قطني عنْ أحوال المشايخ والرواة سؤال عارف وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة وفي حقائق التفسير أشياء لا تسوغ أصلاً، عدَّها بعض

---

(1) الأعلام للزركلي ٢١٢/٦ وسير أعلام النبلاء ٥٣٤/١١.

(2) السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، **حقائق التفسير**، ت سيد عمران، الناشر دار الكتب العلمية ، سنة ١٤٢١هـــ - ٢٠٠١م ، لبنان، بيروت ١٩/١.

الأئمة من زندقة الباطنية، وعدَّها بعضهم عرفاناً وحقيقة، نعوذ باللّه من الضلال ومن الكلام بهوى، ومن ثم عد السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ تفسير السلمي في كتابه "طبقات المفسرين " ضمن التفاسير المبتدعة قال: وإنما أوردته في هذا القسم لأنَّه غير محمود.

نماذج من تأويلات السلمي:

قوله تعالى:(فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ)[١] قيل: إذا كان أول قدم في العبودية التوبة وهو: إتلاف النفس وقتلها بترك الشهوات وقطعها عن المراد، فكيف الوصول إلى شيء من منازل الصادقين، وفي أول قدم منها تلف المهج وقيل: توبوا إلى بارئكم قال: ارجعوا إليه بأسراركم وقلوبكم واقتلوا أنفسكم بالتبري منها، فإنها لا تصلح لبساط الأنس. وقال أبو منصور: ما شرع الحق إليه طريقاً إلا وأوائله التلف. قال الله تعالى: (توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) فما دام يصحبك تمييز وعقل فأنت في عين الجهل حتى يضل عقلك ويذهب خاطرك ويفقد نسبك إذ ذاك وعسى ولعل. وقال الواسطي: كانت توبة بني إسرائيل إفناء أنفسهم ولهذه الأمة أشدُّ وهو إفناءُ أنفسهم مع مرادها، مع بقاء رسومهم الهياكل. قال فارس : التوبة محو البشرية وثبات الإلهية[٢]. وفي تفسير قوله تعالى:" وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ"[٣] قال محمد بن الفضل: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو أخرجوا من دياركم، أي أخرجوا حب الدنيا من

(1) سورة البقرة الآية ٥٥.

(2) السلمي، **حقائق التفسير**، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، ت: سيد عمران، دار الكتب العلمية، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، لبنان/ بيروت،١/٦٠.

(3) سورة النساء الآية ٦٦.

قلوبكم، ما فعلوه إلا قليل منهم في العدد، كثير في المعاني، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة"[1].

3 -لطائف الإشارات للقشيري:

القشيري هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، ولد في قرية من ضواحي نيسابور سنة ٣٧٦هـ، عاش يتيماً، فاتجهت به أسرته نحو طلب العلم، فصار من الممتميزين في طلبه، وبرع في الفقه، والحديث، والأدب، والأصول، والتفسير، وكان زاهداً تتلمذ على يد أبو الحسن ابن الدقاق المتوفى سنة ٤٤٨هـ"[2]، وهو من كبار المتصوفة فى ذلك العهد، وقد أشار عليه أنْ يحضر حلقات درس أبي بكر ابن فورك[3]، والإسفراييني[4]، وفي أثناء ذلك كان يداوم على درس ابن الدقاق[5]، ولما توفي انتقل إلى دروس أبي عبد الرحمن السلمي، حتى صار عالم خراسان في الفقه، والكلام، مع تصدرٍ في الحديث والوعظ والإرشاد وتوفي سنة ٤٦٥هـ، بمدينة نيسابور.

وهذا التفسير هو امتدادٌ لتفسير أهل العرفان، معتمداً في أكثر الأحيان على تأويلاتٍ إشارية قد تبعد عن ظاهر لفظِ الآية الكريمة، لكنَّه مع ذلك حاول أنْ

---

(1) السلمي، **حقائق التفسير**،مرجع سابق ١٥٤/١.

(2) **الصفدي**،الوافي بالوفيات ٢٢٤/٦.

(3) ابن فورك هو: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية. سمع بالبصرة وبغداد. وحدث بنيسابور:ت ٤٠٦ الزركلي ، **الأعلام**، ٨٣/٦.

(4) الإسفراييني هو: أبو القاسم الإسفراييني عبد الله بن طاهر بن محمد بن شهفور. أبو القاسم التميمي الإسفراييني. نزل بلخ وأقام بها، وتوفي سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة. **الوافي بالوفيات** الصفدي ٢٣٢/٦.

(5) ابن الدقاق: هو أَبُو الْغَنَائِم ابْن الدقاق مُحَمَّد بن عَلِيّ بن الْحسن بن مُحَمَّد بن أبي عُثْمَان الدقاق توفّي سنة ٤٨٣ **الوافي بالوفيات** الصفدي١٠٤/٤.

يوفق بين علوم الحقيقة، وعلوم الشريعة، قاصداً أنْ لا تعارض بينهما، وأنْ أيِّ كلام يناقض ذلك فهو خروج على كليهما؛ إذْ كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول، فالشريعة أنْ تعبده، والحقيقة أنْ تشهده".[1] ويعد من أوفق تفاسير أهل التصوف في الجمع بين الشريعة والطريقة، وأسلمها عن الخوض في التأويلات البعيدة التي يأباها اللفظ وينفر منها، كما في سائر تفاسيرهم.

ولذلك فإنَّ فيه بعض الشطحات أو التأويلات البعيدة، مما قد يدخل في التفسير بالرأي الممنوع منه شرعاً، مثلاً عند تفسير قوله تعالى:" وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"[2] يقول: "الأمر في الظاهر بتطهير البيت، والإشارة من الآية إلى تطهير القلوب وتطهير البيت بصونه عن الأدناس، وتطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار، وطواف الحجاج حول البيت معلوم بلسان الشرع، وطواف المعاني معلوم لأهل الحق فقلوب العارفين المعاني فيها طائفة، وقلوب الموحّدين الحقائق فيها عاكفة، فهؤلاء أصحاب التلوين وهؤلاء أرباب التمكين"[3]. وفي تفسير قوله عز وجل: "أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ"[4] قال: حكم البحر خلاف حكم البر، وإذا غرق العبد في بحار الحقائق

(1) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ): **الرسالة القشيرية** ت: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة.

(2) سورة البقرة الآية ١٢٥.

(3) القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري **لطائف الإشارات**، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر،ط٣ ، ١/١٢٤.

(4) سورة المائدة الآية٩٦.

سقط حكمه، فصيد البحر مباح له؛ لأنه إذا غرق صار محواً، فما إليه ليس به ولا منه إذْ هو محو، واللّه غالب على أمره"[١].

"مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ"[٢] .

هذا مثل ضربه الله سبحانه للمنافقين بمن "استوقد نارا" فى ابتداء ليلته ثم أطفئت النيران فبقى صاحبها فى الظلمة، كذلك المنافق ظهر عليه شىء من العوافي فى الدنيا بظاهره ثم امتحنوا فى الآخرة بأليم العقوبة، أو لاح شىء من إقرارهم ثم بقوا فى ظلمة إنكارهم.

والإشارة من هذه الآية لمن له بداية جميلة يسلك طريق الإرادة، ويتعنّي مدة، ويقاسى بعد الشدة شدة، ثم يرجع إلى الدنيا قبل الوصول إلى الحقيقة، ويعود إلى ما كان فيه من ظلمات البشرية. أورق عوده ثم لم يثمر، وأزهر غصنه ثم لم يدركه، وعجّل كسوف الفترة على أقمار حضوره، وردّته يد القهر بعد ما أحضره لسان اللطف، فوطن عن القرب قلبه، وغلّ من الطالبين نفسه، فكان كما قيل:

حين قرّ الهوى وقلنا سررنا ... وحسبنا من الفراق أمنّــا

بعث البين رسله فى خفــاء ... فأبادوا من شملنا ما جمعنا

وكذلك تحصل الإشارة فى هذه الآية لمن له أدنى شىء من المعاني فيظهر الدعاوى فوق ما هو به، فإذا انقطع عنه ماله من أحواله بقي فى ظلمة دعاواه. وكذلك الذي يركن إلى حطام الدنيا وزخرفها، فإذا استتبت الأحوال وساعد

(1) لطائف الإشارات، مرجع سابق.

(2) سورة البقرة الآية ١٧.

الأمل وارتفع المراد- برز عليه الموت من مكامن المكر فيترك الكل ويحمل الكلّ.[1]

٤- تفسير أحمد بن عجيبة التفسير الموضوعي: ١٢٢٤هـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:

أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري مفسر صوفي مشارك من أهل المغرب دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له مؤلفات عديد منها البحر المديد في تفسير القرآن المجيد في أربعة مجلدات ضخمة بدئ بطبعه وصدر منه جزء جمع فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير الإشاري، وقد أوغل في الرمزية، ويعد تفسيره التفسير المغربي الوحيد الذي جمع بين الظاهر والتفسير بالإشارة ويصل إلينا كاملاً،وقد طغى عليه الجانب الإشاري وكان تركيزه الأكبر عليه.

نهج ابن عجيبة في البحر المديد منهج التفسير التحليلي باعتباره يفسر القرآن سورة سورة وآية آية، وهو يوظف التناسب بين الآيات، فلا تمر آية الا يربطها بما قبلها أو ما بعدها ومن ثم يركز على الوحدة الموضوعية للسورة، ويمكن القول أنه نهج في تفسيره نهجاً ثلاثياً في شكل فقرات الفقرة الأولى يستهلها بقوله: قلت ويضمنها الجانب اللغوي عامة، وفي حالات كثيرة سبب النزول أما الفقرة الثانية فيستهلا بقوله: يقول الحق ويضمنها معاني الآيات ومختلف النقول والتفسيرات الواردة عن السلف أما الفقرة الثالثة فيبدأها بقوله: الإشارة وهي تشمل ما لاح له من خلال الآيات من إشارات دقيقة ولطائف صوفية رقيقة.

---

(1) القشيري **لطائف الإشارات** ٦٥/١.

نموذج من تفسير البحر المديد:

قوله تعالى:" مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ"(١). "يقول الحقّ جلّ جلاله :"وَمِنَ النَّاسِ" من هم مغموص عليهم بالنفاق كبعض اليهود والمنافقين، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، يقولون:"آمَنَّا بِاللَّهِ وبِاليَومِ الآخِرِ" وما هُم في عداد المؤمنين،"يُخَادِعُونَ" بزعمهم "اللَّهَ وّالَّذينَ آمَنُوا" بما يظهرون من الإيمان، "وَمَا يَخْدَعُونَ" في الحقيقة "إلاَّ أَنفُسَهُمْ"؛ لأنَّ وبال خداعهم راجع إليهم، "وَمَا يَشْعُرُونَ" أنْ خداعهم وبال عليهم، وإنما حصلت لهم هذه المخادعة لأنَّ "في قُلُوبِهِم" مرضاً من الشك والحسد، فقلوبهم مذبذبة، وأنفسهم مغمومة، "فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً" على مرضهم بما ينزل عليهم من الآيات التي تفضحهم،"وَلَهُم" في الآخرة –إذا قدموا على الله– "عَذَابٌ" موجع بسبب تكذيبهم رسول الله أو كذبهم على الله. هذا مُضَمَّنُ الآية. افتتح الحق –جلّ جلاله– بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم، ثم ثنى بالكافرين الذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً، ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وهم أخبث الكفرة؛ لأنهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعاً، ولذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار.

الإشارة: ومن الناس مَن يترامى بالدعوى على الخصوصية، ويدعي تحقيق مشاهدة الربوبية، وهو في الدرك الأسفل من العمومية، يظهر خلوص الإيمان وتحقيق العرفان، وهو في أودية الشكوك والخواطر حيران، وفي فيافي القطيعة والفَرْقِ ظمآن، لسانه منطلق بالدعوى، وقلبه خارب من الهدي، يخادع الله بالرضا عن عيوبه ومساوئه، ويخادع المسلمين بتزيين ظاهره، وباطنه معمور

(1) سورة البقرة الآيات ٨–١٠.

بحظوظه ومهاويه، يتزيا بِزِيِّ العارفين ويتعامل معاملة الجاهلين، ويصدق عليه قول القائل :

أمَّا الخِيَامُ فَإنَّها كخِيَامهمْ ... وأَرَى نِسَاءَ الحيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا[1]

وما يخادع في الحقيقة إلا نفسه، حيث حرمها الوصول، وتركها في أودية الأكوان تجول، قلبه بمرض الفرق والقطعية سقيم، وهو يظن أنه في عداد مَن يأتي الله بقلب سليم، فزاده الله مرضاً على مرضه حيث رضي بسقمه وعيبه، وله عذاب الحرص والتعب في ضيق الحجاب والنصب بسبب كذبه على الله، وإنكاره على أولياء الله ، فجزاؤه البعد والخذلان، وسوء العاقبة والحرمان، عائذاً بالله من المكر والطغيان"[2].

وهكذا نرى أنه كان يسير على هذا المنهج يبدأ أولا في التفسير الظاهري ثم بعد ذلك يشرع في بيان وجوه المعاني والقراءات، وأسباب النزول، وبيان الأحكام، وذكر الأخبار، وثم يتبعها ببيان الآثار الواردة في المناسبة، ثم في المرحلة الثالثة والأخيرة يشرع في بيان رموز وإشارات الآيات من الناحية العرفانية، ويذكر ما يعن له من لطائف الإشارات، والنكات الظريفة المستفادة من العبارات وهو مقصود التفسير عنده".

٥- شهاب الدين الألوسي ١٢٧٠ هـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:

شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني فقيهٌ ومفسرٌ ومحدثٌ، ولد في بغداد وتلقى العلوم على شيوخ عصره، وكان صاحب حرص شديد على

(1) نسبه القرطبي في تفسيره إلى أبي بكر الشبلي وجاء في ديوان الشبلي قسم أشعار تمثل بها الشبلي.

(2) ابن عجيبة أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة الحسني الفاسي الأنجري الصوفي المتوفى سنة ١٢٢٤هـ **البحر في المديد في تفسير القرآن المجيد**، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان – القاهرة، الطبعة ١٤١٩هـ ٧٨/١.

تحصيل العلم ذكياً فطناً، لا يكاد ينسى شيئاً سمعه، حتى صار إمام عصره بلا منازع. اشتغل بالتأليف والتدريس في سن مبكرة فذاع صيته وكثر تلاميذه وتولى منصب الإفتاء وبقي فيه حتى سنة ١٢٦٣هـ"[1]. قام بزياراتٍ عديدةٍ علمية إلى الأستانة وغيرها من منابع العلم في ذلك الزمن. وألف عدداً من الكتب العلمية القيمة، أشهرها كتابه في التفسير " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" الذي طالت مدة تأليفه خمسة عشر عاماً، ويعد هذا التفسير موسوعة علمية قيمة كبيرة لما احتواه من العلوم. فقد جمع فيه خلاصة علم المتقدمين وذكر فيه كثيرًا من إشارات العرفان، المتعلقة بآي القرآن.توفي ببغداد سنة ١٢٧٠هـ.

يظهر للناظر في تفسير الألوسي أنه قد جمع فيه وسعه، وبذل فيه جهداً عظيماً، فأخرجه للناس كتاباً جامعاً لآراء الفقهاء والعلماء والمفسرين من السلف رواية ودراية، وقد تضمن أيضاً أقوال الخلف المتأخرين فهو تفسير جامعٌ. ومع ذلك لم يكن المفسر مجرد ناقل فقط، بل كان منقحاً ناقداً ومدققاً وممحصاً لكل ما يورده من أقوال ويقوم فيه بإبداء الرأي الخاص به حراً فيما ينقل أميناً فيما يورد. وكان يتعقب الإمام الرازي في مسائل الفقه، ويخالف من خالف الأدلة المعتمدة عنده وينتصر لمن ينقل عنهم إذا رأى الحق معهم.

وقد أخذ على الإمام الألوسي أنه كان متردداً في مسائل الأسماء والصفات، بين مذهبي السلف والخلف. أحياناً يميل إلى مذهب السلف ويقرره وينسبه نفسه إليه. وأحياناً أخرى نجده يميل إلى مذهب الخلف ويظهر نوعاً من التحفظ وعدم الصراحة الكاملة، وأحياناً يقرر مذهب السلف والخلف ويرجح مذهب الخلف ولهذا عده بعضهم من أصحاب التفسير بالرأي.

---

(1) الذهبي، **التفسير والمفسرون** ٣٣٣/١ وموسوعة الأعلام ٤٤/١ ترجمة الآلوسي.

ومما يلاحظ على هذا التفسير: إكثاره من المسائل الكونية ذات العلاقة غير الوثيقة بالتفسير وإكثاره من ذكر المسائل النحوية إلى حد يخرجه من كونه مفسراً، وعند ذكر المسائل الفقهية فمنهجه أن يستوفي أقوال أهل العلم في المسألة.ثم بعد ذلك يختار من المسائل ما يؤيده الدليل في غير تعصبٍ لمذهب معين. اتباعاً للحق. وقد أولى عنايته بنقد الروايات الإسرائيلية وتفنيد الأخبار المكذوبة. فنجده بعد أن ساق قصة من القصص الإسرائيلي يقول: "وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله تعالى، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من تفسير وغيره ولا يبين أمره"[1] وعلى هذا النهج جرى كتابه منتهجاً تفنيده لتلك المرويات والأخبار وقد تعرض إلى ذكر القراءات القرآنية الواردة في الآية الكريمة واهتم بذكر أوجه المناسبات بين الآيات والسور وذكر أسباب النزول لفهم الآيات، وفق أسباب نزولها. ومما أخذ عليه أيضاً ميله إلى التفسير الإشاري فبعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات تراه يذكر لها تفسيراً إشارياً يخرج بها عن ظاهر اللفظ هذا النوع منه ما هو مقبول ومنه ما هو مردود.

ومهما يكن فإن تفسير روح المعاني يبقى موسوعة تفسيرية قيمة مجموع فيها جل ما قاله المفسرون الذين تقدموا وامتازت بالنقد الحر والترجيح المعتمد على الدليل والرأي الحسن البناء والاتزان والعدل في تناول المسائل الخلافية التفسيرية وغيرها.

نموذج من تفسير الألوسي:

في قوله تعالى:"وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ" إلى الذين هم في مبادي السلوك من أرباب الاستعداد، قال: ومن هنا قال الشيخ الأكبر قدس سره في مولانا ابن

(1) الألوسي، شهاب الدين محمود بن محمد بن المهدي المتوفى سنة ١٢٢٤هـ ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**،تحقيق علي عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ١٤١٥هـ ٣/٢٥٣.

الفارض قدس سره حين سئل عنه: نحلة تدندن حول الحمى، أمرهم الله تعالى أولاً أن يتخذوا مقارَّ من العقائد الدينية التي هي كالجبال في الرسوخ والثبات، ومن العبادات الشرعية التي هي كالشجر في التشعب، ومن المعاملات المرضية التي هي كالعروش في الارتفاع، ثم يسلكوا سبله سبحانه وطرقه الموصلة إليه جل شأنه، من تهذيب الباطن والمراقبة والفكر، ونحو ذلك متذللين خاضعين غير معجبين.

وفي ذلك إشارة إلى أن السلوك إنما يصح بعد تصحيح العقائد ومعرفة الأحكام الشرعية، ليكون السالك على بصيرة في أمره، وإلا فهو كمن ركب متن عمياء، وخبط خبط عشواء، ومتى سلك على ذلك الوجه حصل له الفوز بالمطلوب، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه، وصار ما يقذف به قلبه كالعسل شفاء من علل الشهوات وأمراض النفس لا سيما مرض التثبط والتكاسل عن العبادة، وهو المرض البلغمي.

وقال أبو بكر الوراق: النحلة لما اتبعت الأمر وسلكت سبل ربها على ما أمرت به جعل لعابها شفاء للناس، كذلك المؤمن إذا اتبع الأمر وحفظ السر وأقبل على ربه عز وجل جعل رؤيته وكلامه ومجالسته شفاء للخلق فمن نظر إليه اعتبر ومن سمع كلامه اتعظ ومن جالسه سعد انتهى. وفي الآية إشارة أيضاً إلى أنه تعالى قد يودع الشخص الحقير الشيء العزيز فإنه سبحانه أودع النحل وهي من أحقر الحيوانات وأضعفها العسل وهو من ألذ المذوقات وأحلاها فلا ينبغي التقيد بالصور والاحتجاب بالهيئات"[1].

(1) الألوسي: روح المعاني ٤٤٧/٧.

٦-تفسير نظام الدين النيسابوري ٧٢٨هـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان:

هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري الشهير بنظام الدين، مفسرٌ وعالم فلك كبير وفقيه وشاعر في الأصل فارسي من بلدة قم ومولده بنيسابور وبها تلقى تعليمه، ثم بعد ذلك رحل إلى تبريز"[١].

وكتابه يعتني بتفسير القرآن وتأويله من الناحية الإشارية، فيأتي في البداية بالآيات ثم يعرض وجوه القراءات فيها إن وجدت فيها ثم يعرض إلى الوقف في هذه الآيات مشيرا إليها بالرمز ثم يذكر بعد ذلك ما بها من تفسير وأسباب نزول وشرح مفردات، وذكر المعنى الإجمالي ووجوه الإعراب، ثم يأتي بالتأويل ويظهر أنه يقصد به التفسير الإشاري الاصطلاحي.

وقد ذكر في مقدمة كتابه: لقد تضمن كتابي هذا حاصل التفسير الكبير – ويقصد بذلك التفسير الكبير للفخر الرازي– وهو جامع لأكثر التفاسير وفيه جل كتاب الكشاف وقد احتوى على النكت المستحسنة الغريبة مما لم يوجد في سائر التفاسير"[٢]. وقد اعتنى فيه بالوقف وأسباب النزول كما اعتنى باللغة العربية ومعاني المفردات ومراعاة الربط والمناسبات بين الآي والسور. وتعرض للحكمة من تكرار الآيات وذكر المتشابهات وهذا يدلنا على رسوخ قدمه في العلم وامتلاك ناصيته.

وقد اتهم بالتشيع وأحياناً الإعتزال وهو ينفي ذلك عن نفسه ويكتب ويقرر أنه ينطلق من منهج أهل السنة والجماعة فيقول:"إنني لم أمل هذا الإملاء إلا إلى

---

(1) الأعلام للزركلي٢/٢١٦.

(2) النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري ٨٥٠هـ –غرائب القرآن ورغائب الفرقان،ت، الشيخ زكريا عميرات ،دار الكتب العلمية ببيروت ، ط،١، ١٤١٦ هـ ٦/٦٠٧.

أهل السنة والجماعة فبينت أصولهم ووجوه استدلالهم"[١] فكان عندما يتعرض إلى مسألة خلافية خاصة في الفروع فإنه يذكر أدلة كل وجهة نظر دون تعصب أو خصومة".

٧- **تفسير أبي محمد البقلي الشيرازي ٦٠٦هـ عرائس البيان في حقائق القرآن:**

هو أبو محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي توفى ٦٠٦هـ[٢]

هو تفسير على منهج التفسير الإشاري الرمزي عرفاني، جمع فيه من آراء من تقدمه من أقطاب الصوفية وأهل العرفان، فكان تفسيراً موجزاً عرفانياً جامعاً، قال في مقدمة كتابه: "ولما وجدت أن كلامه الأزلي لا نهاية له في الظاهر والباطن، ولم يبلغ أحد إلى كماله وغاية معانيه، لأن تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار،ونهراً من أنهار الأنوار فتعرضت أن أغرف من هذه البحور الأزلية، غرفات من حكم الأزليات والإشارات والأبديات ثم أردف بعد قولي أقوال مشايخي مما عبارتها ألطف وإشاراتها أظرف ببركاتهم وسميته عرائس البيان في حقائق الفرقان"[٣].

جاء فى تفسير قوله تعالى: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ"[٤] جمع الله تعالى جملا من الخصال الحميدة، من الفرائض والسنن والإيمان والمعرفة، والثقة في وجوده فيمن يجوز له عمارة مجالس أنس العارفين والمحبين والعابدين، والمطئمنين

(1) النيسابوري نظام الدين -**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، مرجع سابق ــ ٦٠٧/٦.

(2) عادل نويهض **معجم المفسرين** من صدر الإسلام إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ببيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، ١٩١/١.

(3) الشيرازي أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي **عرائس البيان في حقائق القرآن**، ت:أحمد فريد المزيدي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،٢٠٠٨م،١٤٢٩هـ.

(4) سورة التوبة الآية ١٨.

والمراقيبين، وتلك العمارة تكون بخلو قلبه عن ما دون الله، عند دخوله مساجد الله وطهارة سره عن شواغل الطبيعة وغبار الوسوسة. قال بعضهم عمارة المسجد بعمارة القلب عند دخوله بصدق النية، وحسن الطوية وطهارة الباطن لله، كما طهرت ظاهرك بأمر الله، ودخول المسجد بالخروج عن جميع الأشغال والموانع، فذلك من عمارة المسجد"[1].

* *

(1) الشيرازي ، **عرائس البيان في تفسير القرآن**، ٢/٥٠.

الخاتمة:

وبعد إتمام البحث ودراسة ما سبق من مفهوم التفسير الإشاري وما يتعلق به من مباحث، يمكن أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

التفسير الإشاري هو أحد أنواع التفسير بالرأي؛ لأنه مبني على أساس النظر والاستدلال لبيان ما خفي من المعاني على غير أرباب السلوك الذين عرفوا الحقيقة من العمل بالشريعة.

الكشف عن نوع من أنواع التفسير، وذكر أقطاب علم التفسير الذي عرفوا بهذا المنهج.

يجب الموازنة بين السلوك الصوفي الخلقي والمنهج السلفي الشرعي. من خلال أراء العلماء عن التفسير الإشاري.

تحقيق القيمة العلمية للتفسير الإشاري بين القبول والرد.

توصي الدراسة بتضافر جهود المهتمين بالتفسير لإبراز التراث الإسلامي في أبهى صُوَرِه، وإخراج الإرث التفسيري للناس بصورة تضفي عليه روح الحياة حتى ينتفع به الناس.

إن المعاني الإشارية لا تنافي ظواهر الآيات مع أنها لم تسق للمعنى الإشاري، وقد أكّد تعريف التفسير الإشاري المختار على هذه المسألة بالقيد "يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة".

إن نشأة التفسير الإشاري وتطورَه مرتبط بنشأة التصوف وانتشاره، وذلك بدءًا من القرن الثاني الهجري، ومرورًا بعصر دخول الفلسفة وانتشارها بين العرب والتأثر بالمنطق وآلة العقل ومنهج الفلاسفة الاستدلالي، في القرن الثالث الهجري، وانتهاء بالعصـــر الحاضر.

التفسير الإشاري مقبول لدى علماء الأمة الإسلامية، ما لم يخالف شرطاً من الشروط والضوابط المعتبرة التي تم تفصيلها في هذا البحث.

لا صلة بين التفسير الإشاري وتفاسير الباطنية والتفاسير المزعومة وذلك لموافقة التفسير الإشاري للضوابط والشروط المتفق عليها عند العلماء، ولمخالفة غيره لتلك الضوابط والشروط.

إن ضوابط التفسير الإشاري متفق عليها عند معظم العلماء، وهي ضوابط محكمة في قبول المعاني الإشارية في آيات القرآن الكريم.

تبين من خلال دراسة العلاقة بين التفسير الإشاري وقواعد الاستنباط ودلالاتها اللفظية، أن التفسير الإشاري يمكن أن يدخل تحت أكثر أنواع تلك الدلالات، من المنطوق غير الصريح كإشارة النص، ومفهوم الموافقة عند الجمهور أو ما سمّاه الحنفية بدلالة النص، وكذلك يمكن اندراجه تحت القياس أو الاعتبار أو القياس مع الأولى الذي يتطابق مع فحوى الخطاب في تقسيم جمهور الأصوليين، ومن هنا اعتبر ابن تيمية والقاضي ابن العربي أن عمل المفسّر في استنباط المعاني الإشارية يوافق عمل الفقهاء في الاستنباط بالقياس والاعتبار، وأما اندراجه تحت التأويل فبيّن وإن بوجه من الوجوه.

وعلاقة التفسير الإشاري بقواعد الاستنباط لا تتقيد بنوع معين من أنواع الدلالات اللفظية، فكل من المنطوق والمفهوم والقياس والاعتبار والتأويل، يحتمل اندراج التفسير الإشاري تحته، وليس بالضرورة اتفاقه مع واحدة دون باقي الدلالات، وذلك نظراً لسعة مفهوم التفسير الإشاري، وعدم تقيده بحالة لفظية معينة تتفق مع أداة معينة من أدوات الاستنباط الأصولي، وهذا ما يوضح استعمال بعض المفسرين للتفسير الإشاري كمفهوم وليس كحالة استنباطية، وتسميتهم له بالإشارة، ولا يعنون بها إشارة النص حصراً.

* *

المصادر والمراجع

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣– ١٩٧٣

٢. ابن عاشور: محمد الطاهر: **التحرير والتنوير** ، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، سنة ١٩٩٧ م .

٣. ابن عجيبة أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة الحسني الفاسي الأنجري الصوفي المتوفى سنة ١٢٢٤هـ **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد** ،ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان – القاهرة، الطبعة ١٤١٩هـ .

٤. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية الزرعي أبو عبد الله المتوفى: ٧٥١هـ ، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق: محمد حامد الفقي دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى.

٦. خير الدين الزِركلي (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام دار العلم للملايين – بيروت، ط١٧، (أغسطس ٢٠٠٧م).

٧. الألوسي، شهاب الدين محمود بن محمد بن المهدي المتوفى سنة ١٢٢٤هـ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ١٤١٥هـ .

٨. البخاري، **صحيح البخاري**، طبعة دار السلام، الرياض، ١٤١٧هـ.

٩. الصابوني، محمد على الصابوني **التبيان في علوم القرآن** دار إحسان للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة،٢٠٠٣م.

١٠. التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري المتوفى: ٢٨٣هـ جمع: أبو بكر محمد البلدي تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة : الأولى – ١٤٢٣ هـ.

١١. الذهبي، محمد حسين **التفسير والمفسرون**، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د–ت.

١٢. الزرقاني، محمد عبد العظيم ت: ١٣٦٧هـ، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٣. الزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر: **البرهان في علوم القرآن** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/١ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، سنة ١٩٥٧م.

١٤. السكندري ، ابن عطاء الله،**الحكم**، إعداد وتقديم: د. عبد الحميد صالح حمدان الناشر: مكتبة مدبولي – القاهرة.

١٥. السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، **حقائق التفسير**، ت سيد عمران، الناشر دار الكتب العلمية، سنة ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م ، لبنان، بيروت .

١٦. السيوطي جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٧. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، **الموافقات**، دار ابن القيم،١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

١٨. الشيرازي أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي، **عرائس البيان في حقائق القرآن**، ت: أحمد فريد المزيدي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ.

١٩. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك – **الوافي بالوفيات** – ط :الثانية ، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٠. نويهض عادل نويهض، **معجم المفسرين من صدر الإسلام إلى عصرنا الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ببيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ،١٩٨٨م.

٢١. العسقلاني، **ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري:** ، تحقيق وتصحيح ابن باز مستو، الرياض، دار اللواء، ط٢، ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م.

٢٢. الغزالي،أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم تقي الدين ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، ، ت:محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م.

٢٤. الفيروز آبادي، **القاموس المحيط** . دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٥. القشيري ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ): **الرسالة القشيرية** ت: الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة.

٢٦. القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري **لطائف الإشارات**، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر،الطبعة الثالثة.

٢٧. كحالة، عمر رضا ، **معجم المؤلفين(تراجم مصنفي الكتب العربية)** بيروت، إحياء التراث العربي، ١٩٧٦م – ١٩٥٧م.

٢٨. موسوعة الأعلام ، **تراجم موجزة للأعلام** ،المؤلف :موقع وزارة الأوقاف المصرية.

٢٩. النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري ٨٥٠هـ– **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**،ت الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية ببيروت، ط،١، ١٤١٦ هـ .

* * *